كيف صمموا دور اسرائيل
في العدوان الثلاثي

منذ انتهاء الحملة الخائبة تكشفت اسرار مثيرة وانفضحت حلقات من سلسلة العدوان الثلاثي كانت مجهولة لسوى الرجال الذين صمموه .. وفيما يلي اقدم لكم ملخصا لفصول من كتاب الدكتور ميخائيل بار - زوهر "الطريق الى سيناء".

(١)

.. عيد الثورة المصرية ..تموز ١٩٥٦ .. آلاف من عرب الاسكندرية احتشدت لتستمع الى خطاب الرجل الطويل ذي الرأس الذي يشبه رأس النسر ..

وانطلقت كلمات عبد الناصر.. في خطابه الحاسم الذي كان افتتاحية عهد جديد في تاريخ مصر .. ولم يكد ينهي كلمة السر "اسم فرديناند دي لسبس" حتى كانت قافلة من السيارات العسكرية بقيادة محمود يونس الضابط السابق في سلاح الهندسة تشق شوارع القاهرة من احد المعسكرات ليسيطر جنودها على مكاتب شركة قناة

السويس..

في جميع انحاء العالم تلفظ اجهزة التلبرنتر الخبر المثير: "عبد الناصر امم القناة"!

انتوني ايدن رئيس الحكومة البريطانية، يقرأ الخبر بصوت عال في مأدبة العشاء الفاخرة التي اقامها على شرف الملك العراقي فيصل ورئيس حكومته نوري السعيد.

ويصيح نوري غاضبا: "اضربه! .. اضربه بشدة .. اضربه حالا!"

في مدينة "ليما" عاصمة "بيرو" التقطت الخبر "اجهزة الخدمات الخاصة" الاميركية، فسارع رجالها لابلاغ دالس بما جرى، وكان دالس يومها يقوم بزيارة رسمية لبيرو.

في باريس، كان وزير خارجية فرنسا كريستيان بينو سائراً في الردهة الكبرى بقصر آل بوربون، وجذب انتباهه الازدحام حول جهاز التلبرنتر القائم في زاوية الردهة، فاطل على الشريط الذي يسجل عليه الخبر ولم يكد يتم قراءة المفاجأة حتى انفجر غاضبا مزمجرا.

في صبيحة اليوم التالى سقطت على مكتب آيزنهاور في الولايات المتحدة برقية من القائم بالاعمال الامريكى في لندن م. فوستر يخبره فيها عن نوايا بريطانيا الحربية.

ولم تمض ساعات حتى وصلت الى ايزنهاور برقية اخرى من سفير الولايات المتحدة في فرنسا يقول فيها: "كريستيان بينو شبه استيلاء عبد الناصر على قناة السويس باحتلال هتلر لاراضي الراين. وهو -بينو- ينوى الذهاب الى لندن ويضيف ان فرنسا وبريطانيا العظمى ستدرسان معا القضايا العسكرية التى تترتب على احتلال قواتهما المسلحة لقناة السويس. بينو يعتقد ان الاتحاد السوفيتي لن يتدخل".

وهكذا بدأ نشاط الجهاز الجبار، الذى سينجب فيما بعد حرب السويس (العدوان الثلاثي، في لغتنا-س.أ).

فانجلترا تطمع في انتزاع قناة السويس من يدى عبد الناصر واسترداد شيء من هيبتها التى فقدتها في الشرق الاوسط.

وفرنسا تطمع في ثلاثة امور:

الاول، استعادة الارباح العائدة عليها من القناة.

الثانى، المحافظة على مصالح شركات النفط.

الثالث، القضاء على الثورة الجزائرية، ففرنسا كانت تتوهم ان القضاء على عبد الناصر معناه القضاء على ثورة الشعب الجزائرى وجعل الجزائر فرنسية الى الابد!

في قبو العمليات الحربية، تحت نهر التيمز في لندن اخذ يجتمع الضباط البريطانيون والفرنسيون في مناسبات متقاربة ومتواصلة للتخطيط والاعداد.

اما في امريكا فالانتخابات للرئاسة كانت على الابواب، وايزنهاور يجهد من اجل الظهور بمظهر "بطل السلام" لذلك فقد باشر الضغط على بريطانيا وفرنسا حليفتيه المتوترتين والعازمتين على خوض المعركة ضد مصر. (امريكا كانت معنية آنذاك بخروج الانجليز والفرنسيين من الشرق الاوسط لتحتل هى مواقعهم-س.أ).

واثر الضغط الاميركى على الانجليز.. واخذ الغبار يتكدس على برنامج "موسكتر"، برنامج الهجوم البريطاني-الفرنسى على مصر. كذلك فقد تراكمت الاوراق فى الادراج الخطيرة.. فوق الوثائق السرية التى كتبت عليها كلمة السر "ترافين" .. تلك الوثائق التى لا يحق الاطلاع عليها لسوى رئيسى الحكومتين ورئيس جمهورية فرنسا

وملكة بريطانيا!

وهكذا اغلق ملف الهجوم الذى كان من المقرر شنه في الخامس عشر من ايلول من تلك السنة!

وساد انطباع بأن الحملة لن تنفذ البتة.

وحدث ما غير مجرى الاحداث.. ذلك ان برقية وصلت الى سفارة اسرائيل في باريس .. وهناك كان شمعون بيرس نائب وزير الدفاع في حينه يسافر بشكل متواصل من باريس الى لندن الى باريس.. وفض شمعون بيرس تلك البرقية وكانت مكونة من جملة قصيرة تحتها توقيع دافيد بن غوريون رئيس الحكومة ووزير الدفاع.

وظهرت اسرائيل رسميا على مسرح الاحداث!

برقية الشيخ !

منذ نهاية تموز من تلك السنة اخذت "دولة اليهود" تحظى بمزيد من الاهتمام في التقديرات والتخمينات الفرنسية.

غداة تأميم قناة السويس ذهب بيرس الى فرنسا وأخذ يجري محادثات سرية مع قادتها.

في تلك المحادثات لم تدرس امكانية عملية مشتركة ضد مصر، ولكن بيرس وبورجس مونورى وزير حربية فرنسا كانا قد تحدثا حول امكانية تلك العملية منذ بضعة اشهر. الموضوع في الوقت الحاضر هو صفقات الاسلحة من فرنسا الى اسرائيل.

تم الاتفاق بين فرنسا وامريكا على ان تعطى فرنسا لاسرائيل ٢٤ طائرة اخرى من طراز "مستير" ، كذلك فقد تم التوقيع على اتفاقية في وزارة الحربية الفرنسية في شارع سان دومينيك بباريس،

وبموجب تلك الاتفاقية تنال اسرائيل مزيداً من الاسلحة على مختلف انواعها.

في تلك الايام حدثت مسرحية غريبة، فقد استدعى بيرس الى مكتب وزير الحربية الفرنسي مونورى، وذهب اليه فوجده في غرفة الخرائط في القيادة العامة ومن حوله عدد من كبار ضباط القيادة الفرنسية.

وقال مونورى فورا:

"نحن ندرس قضية القناة! كم يوما، في رأيك، يحتاج جيش الدفاع الاسرائيلي لاحتلال سيناء والوصول الى ضفة القناة؟ وبعد لحظة صمت اضاف مونورى: "قيادتنا تقدر انكم ستحتاجون الى ستة اسابيع تقريبا".

وأجاب المبعوث الاسرائيلي:

"اظن اننا خلال اسبوع واحد نستطيع الوصول الى القناة!"

وارتسمت ابتسامات ساخرة ممهولة بالشك على وجوه ذوي البزز الزيتية وأوسمة الجنرالات!

وتساءل بعض الحاضرين عن قوة الجيش المصرى، عن النتائج المتوقعة لحرب فورية، عن جيش الدفاع الاسرائيلي واحتياجاته.

ثم وجه احد الجنرالات سؤالا ذا أهمية كبرى:

اذا ذهبنا لمحاربة مصر فهل تكون اسرائيل على استعداد لخوض الحرب الى جانبنا؟

واجابات بيرس فورية.. وبدون اى تفكير اجاب: نعم!

ومضت ايام، وكان اجتماع سرى آخر بين فرنسيين واسرائيليين. وكان الاجتماع هذه المرة في غرفة النوم الفخمة في منزل كريستيان بينو الخاص، ودار الحديث هذه المرة حول المتوقعات السياسية

العالمية.. كان بينو أقل حماسا للحرب من زميله وزير الحربية مونوري.. وكان الحديث هذه المرة متوترا وشاملا وجديا للغاية!

لم يقتصر النشاط على المحادثات الفرنسية-الاسرائيلية ففي الوقت نفسه كانت قائمة على قدم وساق محادثات برنامج "موستكر" الفرنسي-البريطاني.. ولما احست فرنسا بتحفظات بريطانيا من أية عملية عسكرية توجهت ثانية..الى اسرائيل.

في بداية ايلول اجرى الفرنسيون تقديرا دقيقا للوضع:

* الحالة في الجزائر تزداد سوءا من يوم ليوم.

* حكومة غى موليه تواجه ضغطا كبيرا بالنسبة لقضية السويس.

* مراقبون ذوو اطلاع ادعوا ان الحكومة الفرنسية لن تستطيع الوقوف على رجليها الى ابعد من شهر تشرين الاول.

على ضوء هذا الوضع فان الحرب تكون في الحسبان في مطلع شهر تشرين الثانى، وتلاءم هذا التقدير مع تقديرات الخبراء العسكريين الذين اكدوا ان عملية انزال المظليين يجب ان تتم في النصف الاول من شهر تشرين الثاني أي قبل موسم الامطار والعواصف.

مرة اخرى استدعى بيرس لمقابلة بورجس مونورى. هذه المرة ألقى الوزير الفرنسى أوراقه مكشوفة على المائدة، مائدة المغامرة، وسأل بيرس اذا كانت اسرائيل مستعدة لخوض المعركة والهجوم على مصر بالتعاون مع فرنسا وبريطانيا العظمى.

وعد بيرس بأن يتشاور مع بن غوريون .. وطارت برقية مستعجلة الى الشيخ .. ولم يأت منه أى جواب، وطارت برقية أخرى .. واستمر الصمت .. فما معنى هذا السكوت؟

لا يعنى صمت بن غوريون انه يعارض، بل على النقيض فهو يشجع مبادرة مساعديه، ويشجع اتصالاتهم المتواصلة مع لندن وباريس ودراستهم للامور في العاصمتين الحليفتين، وعندما يأتى مساعدوه امثال بيرس وديان ليقدموا له تقريرا عما جرى، يستلقى بن غوريون في مقعده ويسمعهم بهدوء، ومن حين لحين يقاطعهم بملاحظة عابرة جانبية او يوجه اليهم سؤالا عميقا، ولكنه يمتنع عن ان يدلى برأيه وذلك لسببين:

الأول - ان بن غوريون لم يقرر في حينه ان يتورط في الحرب، وكان يفكر في امكانية تجنبها لعدة اسباب يعرفها هو.

والثاني - انه لم يطلع على القضية من جميع جوانبها ولم يدرك كل تفاصيلها. لذلك فهو ينتظر، ما دام لم يكون له رأيا نهائيا في الموضوع.

في منتصف سبتمبر أصبح الانتظار نوعا من "الكماليات"! وفي فرنسا أصبح ذلك واضحا للجميع. بينو زلق بضع اشارات الى زملائه البريطانيين، وكانت الرموز الفرنسية واضحة لهم كل الوضوح .. ولكن لعله من الممكن متابعة النشاط في اتجاه الاتصالات فقد يؤدي ذلك الى خلق "ثالوث" بريطاني-فرنسي-اسرائيلي!

لكن بن غوريون ظل محاطا بالضباب والغموض. ومرة اخرى اتصل بورجس مونورى بأصدقائه الاسرائيليين ليقول لهم:

يبدو لي ان التواريخ التي قررناها نحن والبريطانيين لا تناسبكم. على كل حال عليكم ان تخبرونا بوجهة نظركم!

في كثير من الانفعال ارسل بيرس الى بن غوريون ببرقية اضافية..

والان، ذهب بيرس الى السفارة الاسرائيلية في باريس ليجد برقية من بن غوريون في انتظاره..

"قل لهم ان تواريخهم تناسبنا".

لقد قرر الشيخ ان يبادر للعمل.

في قاذفة قنابل الى ... بيزرتا!

صباح يوم الاحد، قبل نهاية ايلول .. سيارة خصوصية تحمل رقما دبلوماسيا تنطلق في شوارع باريس التي لم تنفض بعد عن جفونها آثار النعاس .. كانت السيارة تسير بسرعة جنونية وعندما ضغط السائق على فراملها مزق صرير عجلاتها الصمت الرائن في ساحة وزارة الحربية الفرنسية في شارع سان دومينيك .. وهبط من السيارة رجلان هما شمعون بيرس ويوسف نحمياس ممثل وزارة الدفاع الاسرائيلية في باريس، وانطلق الاثنان نحو مكاتب الوزارة وسألا: هل الوزير بورجس مونوري موجود؟ وجاء الجواب: كلا!

- لعله في بيته؟

- لكن باب شقة الوزير الخاصة كان موصودا! ويبدو ان الوزير الفرنسي قرر "الاستجمام" من "حمى السويس".. فذهب الى نادى الصيد الذي ينتمي اليه والقائم في غابة كثيفة في جنوب فرنسا.

ولم يتردد الاثنان بيرس ونحمياس، فانطلقا بسيارتهما عبر شوارع باريس قاصدين الجنوب حيث يقضي مونوري وقته في الصيد .. كان عليهما ان يقطعا مسافة طويلة جدا فلن يصلا قبل التاسعة مساء ..

هنالك .. في نادي صيد مونوري كان الثلاثة يجلسون على المقاعد

الجلدية الفخمة ويتداولون الحديث ..

لم يستطع مونوري ان يخفي غبطته بقرار بن غوريون .. وبوشر في التخطيط للعمل .. وكان لبيرس شرط اساسي: ان تزود فرنسا جيش الدفاع الاسرائيلي بكميات كبيرة من السلاح مقابل الاسلحة التشيكية التي كانت شحناتها تفرغ على شواطىء مصر.

في الجلسة نفسها قرر الثلاثة الدعوة لمؤتمر موسع يحضره قادة الجيشين والوزراء المختصون من الدولتين.. وفي الوقت ذاته يتم ابلاغ البريطانيين بأن هناك امكانيات لعمل مشترك مع اسرائيل.

في ساعة متأخرة من الليل عاد بيرس ونحمياس الى باريس .. في الطريق نزلا في فندق صغير ليرتاحا من عناء السفر .. وقررا ان يسجلا كل ما دار بينهما وبين الوزير الفرنسي مونوري .. ولكنهما لم يجدا ورقة بيضاء في حقيبتهما .. فاغتالا علبة سجائر فرنسية .. وعلى الكرتون المربع سجلا المحادثة الهامة .. وهكذا كانت قصاصة الكرتون أول وثيقة لمعركة السويس .. وكانت تلك اول علبة سجائر تذهب ضحية للمعركة! ولكن سجائر اخرى دخلت ملفات الوثائق السرية بصورة اكثر اهمية وخطورة!

في ساعة متأخرة من الليل عاد بيرس ونحمياس الى باريس .. في مطار اللد طائرة قادمة من باريس نزل منها شمعون بيرس، وكان في انتظاره رئيس اركان الجيش الاسرائيلي موشيه ديان.. وسافر الاثنان معا الى مطار الرملة.. هنالك، وبعد حوالي الساعة هبطت طائرة "بايبر" الصغرى ذات المسافر الواحد.. وكان راكبها رئيس الحكومة

ووزير الدفاع بن غوريون .. استقل الثلاثة سيارة رئيس الحكومة وانطلقوا الى القدس.. في الطريق تحدثوا حول عملية انتقامية ضد مواقع الجيش الاردني في جبال القدس .. وفجأة التفت بن غوريون الى بيرس وسأله:

ماذا في باريس؟

واعطى بيرس تقريرا مقتضبا .. وابدى الشيخ بن غوريون اهتمامه بالموضوع.. وفي الحال أخذ يعدد اسماء الوزراء الذين يستحسن اشتراكهم في مؤتمر باريس السري.

في الثامن والعشرين من ايلول.. وحوالي الساعة السابعة مساء وصلت بضع سيارات خصوصية الى مطار عسكري في مكان ما في جنوب اسرائيل، حيث كانت في الانتظار قاذفة قنابل متوسطة من طراز "نبتون" تابعة للسلاح الجوي الفرنسي.. وبسرعة، وبسرعة تامة صعد الى الطائرة اربعة اشخاص من فتحة في بطنها .. اما هؤلاء الاربعة فهم: موشيه ديان، شمعون بيرس، موشيه كرمل (وزير المواصلات) وغولده مئير (وزيرة الخارجية).. وعندما صعب الصعود على السيدة مئير حظيت بمساعدة موظف كبير من وزارة الدفاع الاسرائيلية وعيزر فايتسمن قائد الشعبة الجوية في سلاح الطيران الاسرائيلي .. وبعد ان دخلت السيدة مئير اغلقت الطائرة فتحة بطنها واقلع "نبتون" الى مكانه المقصود!

اتجهت الطائرة غربا عابرة بشواطىء سيناء .. ومواصلة طيرانها في ساعة متأخرة من الليل حتى هبطت اخيرا في بيزرتا. وفي القاعدة العسكرية الفرنسية استقبل الاشخاص الاربعة قائدها الاميرال ودعاهم الى وليمة فاخرة ثم وضع تحت تصرفهم شقة الضيوف في

قصره الفخم الرسمي.

في الساعة الخامسة من صبيحة اليوم التالي هبطت في بيزرتا طائرة ثقيلة من طراز دي. سي ٤، وهي طائرة الجنرال دي غول الخاصة التي كان الرئيس الاميركي ترومان قد اهداه اياها..

وصعد الاربعة الى الطائرة لتقلهم الى باريس، واثناء هذه السفرة كان الوزير موشيه كرمل يضغط اسنانه بشدة، ففي رحلة الامس واثناء تجوله في الطائرة سقط في فجوة القصف وانكسر احد اضلاعه لكنه تحمل الالم ولم يذهب الى الطبيب الا يوم عودته من فرنسا من رحلة "الالم" التي دامت بضعة ايام!

في باريس هبطت البعثة في المطار العسكري في "فيلاكوفلي"، بعيدا عن اعين الفضوليين .. ومن هناك كانت الغرف مهيأة في انتظار الضيوف الكبار.

بعد استراحة قصيرة، وفي اليوم نفسه انصرفت الرباعية الى باريس حيث يعقد المؤتمر السري مع فرنسا بشأن تزويد الجيش الإسرائيلي بالسلاح!

ماذا فعل بن غوريون فيما بعد؟

الفيتو السوفيتي يوصد الباب!

بأي سر عادت طائرة الجاسوسية الاميركية؟

(٢)

بن غوريون لا يتكلم!

المؤتمر السري على اهبة الانعقاد.. سيدور الحديث فيه حول تزويد الجيش الاسرائيلي بالسلاح ولن يتطرق الى القضايا السياسية وبرنامج الهجوم على مصر.

في اليوم التالي لوصول الرباعية الاسرائيلية الى باريس تركت غولده مئير صحبها واستقلت سيارة خاصة قاصدة قصر "ماتينيون" حيث تجتمع برئيس الحكومة الفرنسية غي موليه.

في المساء وفي كل مساء كانت تطير الى الشيخ برقيات تقريرية عما يدور في باريس.. وهكذا فقد كان يراقب الامور من مكتبه بوزارة الدفاع في تل ابيب.

في الاول من تشرين الاول قدمت للفرنسيين قائمة السلاح المطلوب لاسرائيل .. وكانت تضم ١٠٠ دبابة من طراز "شيرمن"، سربا من طائرات النقل، ٢٠٠ شاحنة من ذوات المحركات الامامية، ١٠٠ بازوكا، و٣٠٠ ناقلة مصفحة. في اليوم نفسه عاد ديان وبيرس الى اسرائيل.

في الغداة عقد ديان اجتماعا لقيادته، وفي جو متوتر أصدر اوامره الى كبار ضباطه بالاستعداد لاحتلال سيناء .. وكان الموعد المضروب هو ٢٠ تشرين الاول.

من بين اولئك الذين اعدوا "الطبخة" ظل واحد يلتزم جانب الصمت .. ورغم ان برقياته الى بيرس، واوامره لديان باعداد الجيش، تثبت موافقته على خوض الحرب الا انه لم يتكلم .. ظل صامتا طيلة

الوقت، اثناء الاستماع الى التقارير واثناء اجراء الاستعدادات والخطط. انه الشيخ دافيد بن غوريون!

ولماذا صمت بن غوريون؟

يبدو انه حتى اللحظة الاخيرة لم يزايله الامل في امكانية لجم النار في الشرق الاوسط، وذلك لعدة أسباب أهمها شكه في موقف بريطانيا! فأثناء نقاشه مع الاكثر تطرفا من مساعديه الراغبين في شن حرب مباشرة تذرع بن غوريون دائما بالانذار البريطاني.. والان ما زال يقلقه موقف بريطانيا الغامض. ورغم رغبته في خوض المعركة الى جانب فرنسا الا انه شديد الرغبة كذلك في اشتراك بريطانيا!

وهل كان بن غوريون محقا في شكوكه نحو بريطانيا ورغبته في اشتراكها؟

مجرى الاحداث فيما بعد يؤكد انه بالفعل كان على حق في ما ذهب اليه!

اسرائيل ترتدع

في الثالث عشر من تشرين الاول لجم الفيتو السوفييتى في هيئة الامم المتحدة مشروع القرار الذي تقدمت به فرنسا وانجلترا والذي كان املهما الاخير في تجنب عملية عسكرية.

بعد يومين، في الخامس عشر من تشرين الاول وصل الى لندن الجنرال الفرنسى "شال" ... وهناك استقبله انطونى ايدن، لويد، وهيد (وزير الحربية البريطانية).

على حائط الغرفة خريطة كبيرة للشرق الاوسط خطا نحوها الجنرال الفرنسى واشار بيده قائلا:

"القوة التى نرغب في استعمالها ضد مصر نستطيع ان نوجهها بواسطة اسرائيل! .. حتى نهاية الشهر تحتل اسرائيل سيناء، ويكون لزاما علينا ان نفصل بين الاسرائيليين والمصريين فى هذه الحرب .. الاسرائيليون يكونون هنا -واشار الى سيناء، والمصريون سيكونون هنا- واشار الى القسم الافريقي من مصر- ونحن اين سيكون موقعنا؟" وتقدم شال نحو الخريطة ووضع كف يده على قناة السويس وهتف بصورة دراماتيكية: "هنا"!

في الغداة طار ايدن ولويد الى باريس للاجتماع بالقادة الفرنسيين..

التقى الاربعة: ايدن، لويد، موليه وبينو .. ولعله من غرائب الصدف الساخرة انه كانت فى الغرفة لوحتان، الاولى لدون كيشوت وهو يحارب طواحين الهواء والثانية للكردينال ريشيليه وهو ينظر نحو رباعي الحرب نظرة غاضبة!

على كل حال .. في المساء نفسه وصلت الى اسرائيل برقية في غاية السرية تقول:

"تستطيعون الاعتماد على البريطانيين !"

ولكن .. في هذه اللحظة الحاسمة جاء جواب اسرائيل: " لا !".

غزوة ... لا حرب ...

لماذا اجابت اسرائيل ب - "لا"؟

هل لان طائرة الاستكشاف الامريكية الضخمة، تجولت طويلا فوق اسرائيل وعادت لتقول لآيزنهاور ان في اسرائيل "٦٠" طائرة من طراز "مستير" وليس "٢٤" طائرة كما ادعت الارقام الرسمية؟

أم لان ديان الفخور يخجل من التعاون مع جيوش اجنبية ضد اعدائه؟

أم بسبب الانذار الذى وجهه ايزنهاور الى ابا ايبن عندماُ علم بانعقاد جلسة للسفراء فى القدس؟

لقد أراد البريطانيون أن تشن اسرائيل حربا شاملة على طول الجبهة مع مصر .. ان تحتل سيناء وتهدد القاهرة!

وعندها يبدو تدخل البريطانيين والفرنسيين فى نظر الرأي العام العالمي عملية انقاذ هبطت من السماء.. وبعينين جامدتين كالجليد اقترح سلوين لويد ان يقوم الطيران البريطاني -الفرنسى بقصف الجانبين المصرى والاسرائيلي على السواء حتى تبدو عملية احتلال السويس وكأنها عملية حيادية لا تميز بين الجيشين المصطدمين! والى رأى لويد انضم عدد كبيرٍ من كبار الضباط البريطانيين الذين لم يرغبوا في نسف جميع الجسور بين بريطانيا والشرق الاوسط العربى.

وصل الاقتراح البريطاني الى اسرائيل بواسطة الفرنسيين، وجاء الجواب الاسرائيلي الحازم: "لا" !

في الثامن عشر من تشرين الاول، بينما كانت اساطيل الغزاة تنتظم في جزيرتي قبرص ومالطة وبينما كان جسر جوى ينقل

بسرعة متواصلة الجنود الذين سيتدفقون على مصر فيما بعد، فى ذلك اليوم توقفت آلة الحرب عن العمل .. برفض بن غوريون الموافقة على شروط البريطانيين.

لقد احس بن غوريون انه في مركز قوة .. وبدونه قد تتجمد فكرة غزو السويس بكاملها.. فلماذا لا يملى شروطه اذن.

وهكذا كان .. املى بن غوريون شروطه .. وتم له ما اراد .. واتحد الثالوث الحربى!!

(٣)

الى مطار الضباب ..

في الحادي والعشرين من تشرين الاول، انطلقت الى مطار اللد سيارة غطيت نوافذها بالستائر.. فى داخلها جلس بن غوريون، بيرس، ديان، ونحميا ارغوف -السكرتير العسكرى لرئيس الحكومة-.

في سيارة ثانية كان يجلس ضابطان فرنسيان كبيران تربطهما باسرائيل صداقة، هما الكولونيل مانجان والجنرال شال مع بعض كبار الضباط الاسرائيليين..

كانت دواليب الطائرة قد اخذت تتحرك، ولم يكد النسر المعدني يبتلع الجماعة حتى انطلق على ارض المطار .. ليرتفع فى نهاية الشوط .. قاصدا فرنسا .. انها طائرة "دى. سى٤" -طائرة ديغول التي سبق لنا ان التقينا بها..

كانت الرياح شديدة فأخذت تدفع بالطائرة الى الوراء وكانها تريد منعها من متابعة رحلة الدماء والنار .. لكن المؤامرة كانت اقوى

ووصلت الطائرة فى الثاني والعشرين من تشرين الاول، متأخرة بعدة ساعات عن موعدها .. وهبطت فى فرنسا على ارض مطار "فيلا كوفلى" المبتلة .. وكانت طائرة ديغول تبدو شبحا غريبا فى قلب الضباب الكثيف الذى غطى وجه المطار ..

نزل الشيخ بن غوريون من الطائرة وقد اعتمر قبعة عريضة الحواشى، لكنها عبثا حاولت السيطرة على "لبدته" البيضاء المتمردة!

أما ديان فقد وضع على عينيه نظارة واقية .. كان النظام في المطار مدهشا للغاية ..

حال وصول الضيوف كانت تنتظرهم سيارات سوداء لا تحمل اية شارة رسمية .. وما كادوا يستقلونها حتى انطلقت بهم الى جهة غير معروفة ..

على عكس ما قيل، فان غى موليه، رئيس الحكومة الفرنسية في حينه، لم يكن فى استقبال بن غوريون وحاشيته في المطار .. كان مشغولا باستقبال "ضيف" آخر هو "احمد بن بلا" الذي اختطفته فرنسا من طائرة "اير فرانس" كانت تقله من مراكش الى تونس!

الفيلا البيضاء

في انتظار الضيوف الاسرائيليين كانت فيلا بيضاء تحف بها حدائق غناء .. صاحبها رجل أعمال يهودي من اصدقاء بورجيس مونوري .. ولم تجر فى الفيلا اية تعديلات تلفت النظر ..

لبن غوريون جهزت فى الفيلا غرفة نوم خاصة .. اما بيرس، ديان وسائر اعضاء البعثة الاسرائيلية فقد كان عليهم ان يكتفوا ببضع غرف في فندق، في باريس نفسها .. وخلال ثلاثة ايام لم يزايل

نفوسهم القلق من ان يكتشف اقامتهم فى باريس، واحد من الاف الاسرائيليين الذين يقطنون العاصمة الفرنسية فيشيع السر ويذيع .. ولكن شيئا من هذا لم يحدث لدقة المحافظة على السرية التامة .. حتى كريستيان بينو، وزير الخارجية الفرنسى، كان يذهب في سرية تامة الى الفيلا التي اصبحت طيلة ٧٢ ساعة مركز اعصاب السياسة الفرنسية والبريطانية .. كان بينو عندما يذهب الى الفيلا السرية يقود سيارته بنفسه في طرق مجهولة ومتعرجة حتى لا يثير شبهة أحد. وكذلك فقد حافظ جميع المشتركين فى المؤتمر الخطير على السرية التامة .. كبار المشتركين ما زالوا يصمتون، حتى اليوم، اذا وجهت اليهم اية اسئلة حول الموضوع .. وفي الوقت نفسه تصرح بعض كبار الشخصيات التى اشتركت في المؤتمر بمعلومات لها قيمة خاصة ولكنها لا تكشف الغطاء عن اهم ما دار هناك.

دوافع الشيخ

ما هى الدوافع التى اقنعت بن غوريون بالذهاب الى فرنسا؟ فاذا اكتشف العالم ان اسرائيل ذهبت الى دولتين استعماريتين لتدبير مؤامرة على دولة اخرى فان هذا سيدفع جميع العالم للتنديد بها ..

ولكن بن غوريون ينوى خوض المعركة بحجة "تحرير" مضايق البحر الاحمر .. هو يدرك جيدا انه لا يستطيع وحده ان يخوض المعركة .. فمن مصلحته ان تشترك بريطانيا وفرنسا، الامر الذى يكسبه كثيرا من التأييد ويخفف الضغط العالمي على اسرائيل.

أما من الناحية العسكرية فقد كان بن غوريون وديان مقتنعين بقدرتهما على احتلال سيناء .. ولكن بن غوريون أبدى -على حد قول

بينو- قلقا شديدا وخوفا من قاذفات القنابل المصرية القوية التى تستطيع ضرب مؤخرة الجيش الاسرائيلي وتدمير المدن الكبرى تل-ابيب والقدس وحيفا وبئر السبع. لذلك فقد طلب بن غوريون تأمينا من البريطانيين والفرنسيين بأن يضمنوا له مظلة جوية من جهة وان يضربوا المطارات المصرية من جهة اخرى . لذلك فقد ذهب الى باريس ليلتقي بشركاء المستقبل في الفيلا البيضاء السرية وليشرح لهم وجهة نظره ومن ثم ليسمع رأيهم .. حتى يتمكن من وضع تصاميمه التى لم يفصح عنها والتى ما زالت سرا في افكاره.

و«خضع» البريطانيون ..

الثاني والعشرون من تشرين الاول .. بن غوريون الذى وصل في ساعات الصباح الى فرنسا، يصعد الآن درجات الفيلا بسرعة -كعادته- .. يذهب الى الغرفة المخصصة له لينام قليلا .. وفي ساعات الظهر بدأ الاجتماع الاول.

من الجانب الاسرائيلي كان بن غوريون ومساعدوه .. ومن الجانب الفرنسى كان بينو، بورجس مونورى وبعض كبار الضباط الفرنسيين.

كان مما ادهش الفرنسيين واثار استغرابهم ذلك الهدوء وعدم الانفعال الذى تحدث به بن غوريون .. كان يتكلم وكان يكثر من القصص الجانبية.. ولكن شيئا واحدا جعله دائما واضحا امام الفرنسيين "ان اسرائيل لن تخرج وحدها الى حرب واسعة النطاق مع مصر!"

وخرج الجنرالات الفرنسيون من الاجتماع بشعور واضح.. وهو ان

عليهم البحث عن حجة اخرى!

لندن .. كانت دائما في الصورة امام الفرنسيين، ففى الحال طار الجنرال شال الى زملائه البريطانيين ليطلعهم على وجهة نظر بن غوريون .. وفى جلسة سرية استمر النقاش حتى ساعة متأخرة من الليل .. وخضع الانجليز وتراجعوا عن موقفهم العنيد .. وقال احد المشتركين فى المحادثات: ان بن غوريون يمسك بيده اوراق اللعبة!

. وهكذا - في صبيحة اليوم الثاني لوصول بن غوريون الى فرنسا كانت ثمار موقفه دانية اليه .. فبهدوئه وظهوره بمظهر غير المتحمس "للمشروع" استطاع بن غوريون ان يوهم الفرنسيين بان عدم نجاح المفاوضات لن يكون بالنسبة اليه كارثة! وحتى يضمنوا اشتراكه فقد ابدوا استعدادهم لبعض التنازلات واقنعوا زملاءهم البريطانيين بان يقبلوا هم ايضا ببعض التنازلات لبن غورون!

ووافق البريطانيون على تجميد مشروعهم الذي كان سيجعلهم يبدون بمظهر المخلصين الذين يحملون سيف العدل ويجيئون الى الشرق الاوسط للمحافظة على الهدوء والنظام بدون تمييز بين اسرائيليين ومصريين !!

وهنا تمت الخطوة الاولى نحو اتفاقية نهائية.

"الضيف الكبير" الاول الذي وصل فيما بعد الى الفيلا البيضاء كان غى موليه رئيس الحكومة الفرنسية .. عيناه حمراوان ووجهه شاحب، مما يدل على انه قضى ليلة لم يذق فيها طعما للنوم، والواقع ان غى موليه فعلا لم ينم، فحادث اختطاف احمد بن بلا - والزعماء الاربعة بطيارة فرنسية قبل استقلال الجزائر - تفجر في البرلمان الفرنسي، ومما اغضبه واتعبه ان ضباطا كبارا في الجيش الفرنسي

اتموا عملية الخطف دون استشارته هو..

قدم بينو رئيس حكومته غى موليه الى الحاضرين وقام بن غوريون بمهمة التعريف بمساعديه ..

ودار حديث غريب بين الجميع .. ففي ذلك المؤتمر السرى الذى قد يقرر مصير العالم بأسره كان بن غوريون يتحدث في الفلسفة والتاريخ وعلم اللغات، وأبدى اعجابه بتعليم اللاتينية واليونانية في فرنسا .. وشرح له موليه وبينو اساليب التدريس في بلادهما. بعد مضى شىء من الوقت، انتقل الجميع الى حديث اكثر جدية ..

جلسوا حول الطاولة الخشبية االثقيلة في غرفة الطعام ..

افتتح بن غوريون الحديث بشرح الوضع في الشرق الاوسط، وشرح رغبته في مهاجمة مصر، ثم طلب بشكل واضح المساعدة الجوية والبحرية من فرنسا.

غى موليه الرجل المعروف ببروده وطول تفكيره، كان يبدو منفعلا فى ذلك الوقت، ولكنه بلا تردد وعد بن غوريون بأن يقدم له المساعدة المطلوبة!

وانتقل الحديث الى مسألة التنفيذ التكنيكى لاعطاء المساعدة العسكرية لاسرائيل.. وفي الواقع فان وعد موليه لم يكن سوى موافقة على الاتفاق الذى تم بين شمعون بيرس وافل توماس "ظل" بورجيس مونورى.. وأكثر من ذلك فقد وعد توماس بأشياء اخرى..وعد بكميات ضخمة من الاسلحة وباسقاط المواد الغذائية والذخيرة الى وحدات الجيش الاسرائيلي عندما تصبح فى جهات مختلفة من صحراء سيناء.

(٤)
نهاية وبداية

استعرضنا مراحل المؤامرة الاستعمارية على مصر، و"النضال" الذى مارسه بعض قادة اسرائيل لتبنى دور هام فى المسرحية الفاشلة ..

يذكر القراء ان حماس قادة اسرائيل هؤلاء كان مشوبا بكثير من القلق، وعبر عنه "البالغ" فيهم .. شيخ "سديه بوكر" الحالم ببعث مملكة سليمان .. دافيد بن غوريون!

ولن ننسى ان الزعامة الرجعية فى اسرائيل حددت لها موقفا واضحا في نهاية الصراع .. موقف الاندغام فى مخططات الاستعمار والوقوف فى عرى فاضح ضد حركات التحرر العربية وفي طليعتها الثورة المصرية الكبرى..

في هذه الحلقة، وفي الحلقات القادمة تنكشف امام عيوننا الخطط التى وضعها الامبرياليون وصنائعهم في اسرائيل، لتنفيذ المؤامرة على الشعب العربى في مصر.

نحن لا نشعر بأية رهبة حيال تلك المخططات الوسخة .. لان فشلها في الماضى وفي المستقبل أمر يفرضه التطور التاريخي الحتمي. ان ما يخالج نفوسنا ونحن "نطالعها" هو الشعور المزدوج - أولا، بعظمة الخطوة الجبارة في طريق الثورة المصرية .. خطوة تأميم قناة السويس، المرفق الذى أصبح دعامة كبرى من دعامات الاقتصاد العربي في مصر وثانيا بقصر النظر الذي تعاني منه السياسة الاستعمارية بكل اذرعتها في كل قطر ما زال مستنقعا تتكاثر فيه. (س.أ).

إقترح احدهم إجراء امتحان لمصر وذلك بارسال سفينة اسرائيلية تحاول العبور في قناة السويس، وافترض صاحب الاقتراح ان مصر تصادر السفينة .. ويكون ذلك سببا في شن الحرب عليها ..

لكن جنرالا فرنسيا وضع حيلة اخرى .. ورفضها بن غوريون بعصبية جعلت رأسه أحمر كالشمندرة!

احتل القاعة صمت متوتر .. تطوع بينو لطرده فقدم اقتراحا بسيطا .. ان تقوم فرنسا وبريطانيا بمهاجمة مصر دون الحاجة الى ذريعة من جانب اسرائيل .. ووجد بينو نفسه في المعارضة، فمعظم زملائه الفرنسيين غارقون في التفكير المضني .. لاصطياد خطة تبرر الحرب في نظر الرأي العام العالمي !

أخيرا توصل الجميع الى قرار موحد .. تقوم اسرائيل بعملية محدودة على مقربة من السويس، مما يجعل الممر المائي الهام في خطر وهنا تجد فرنسا وبريطانيا نفسيهما مضطرتين للتدخل و"حماية" القناة.

وهذا هو القرار الذي سيرسل الى سلوين لويد البريطاني!

ومضت حوالي الساعة ثم حامت فوق مطار "فيلا كوبلي" الفرنسي طائرة تابعة لسلاح الطيران الملكي البريطاني وعندما هبطت على أرض المطار نزل منها رجلان الاول سلوين لويد، وزير خارجية بريطانيا والثاني باتريك دين مدير شعبة الشرق الاوسط في وزارة خارجية بريطانيا .

لتوهما توجه الاثنان الى الفيلا البيضاء حيث يعقد اجتماع اسود

خطير آخر، ولعله هذه المرة اشد خطورة ..

جو جديد في فيلا المؤامرة .. جو ثقيل وكئيب للغاية، مظاهر الصداقة والتفاهم التام التي كانت بين الفرنسيين والاسرائيليين اثناء المحادثات السابقة، هذه المظاهر لا وجود لها الان ..

سلوين لويد سلم على بن غوريون بصورة رسمية جافة .. كان لويد متضايقا وكأنه يشعر بالخجل من جلوسه بصفته وزير خارجية الامبراطورية مع رئيس حكومة اسرائيل الصغيرة .. أما بن غوريون فقد غاص من جديد في دوامة من الشكوك حول بريطانيا .. وكان وجهه متوترا وعيناه تطاردان أدق التعابير التي يبصقها وجه لويد ذو الجبين العريض والغرة المتموجة!

المرحلة المصيرية في المؤتمر تبدأ الان! الشركاء يدرسون تفاصيل المشروع بدقة وتوسع شرح الاسرائيليون وجهة نظرهم .. بن غوريون لم يتكلم كثيرا ترك هم الحديث والاطالة لبيرس وديان الجالسين على جانبيه كان يكتفي بملاحظات في الامور التي يراها هامة بالنسبة له وهنا قال احد الوزراء الفرنسيين في لهجة ناقدة ساخرة: بن غوريون هذا يبدو فيلسوفا!

أخذت ظلال الغروب تتسرب الى غرفة الطعام الفسيحة في الفيلا البيضاء حيث انتهى المؤتمر الاسود. الخطة العدوانية اصبحت جاهزة وواضحة المعالم:

اسرائيل تقوم بانزال وحدة من الكوماندو على مقربة من السويس .. اذاعة صوت اسرائيل تذيع النبأ بوضوح ودقة ..

بريطانيا وفرنسا توجهان انذارا الى مصر واسرائيل بضرورة الابتعاد ١٥ كيلومترا عن ضفتي القناة .. اسرائيل تنصاع الى الانذار

وتنفذه أما مصر فمن الطبيعي انها ترفضه وهنا يقوم سلاح الطيران البريطاني بشن غاراته على المطارات العربية في مصر فيخرب مسالكها ومن ثم ينقض طيران الامبراطورية العجوز على المقاتلات والقاذفات العربية فيدمرها وعندها تطمئن اسرائيل الى ان الطائرات العربية المصرية لن تدمر مدنها الكبرى ولن تكنس وحداتها الزاحفة في صحراء سيناء .. وفي نهاية الامر تحتل بريطانيا وفرنسا القناة.

أما الاتفاق الفرنسي الاسرائيلي القاضي بحماية فرنسا لسماء الدولة اليهودية واقامة جسر مائي بالسفن الفرنسية بين باريس وتل-ابيب وانزال سيارات الجيب والذخيرة والمواد الغذائية لجيش اسرائيل في سيناء هذا الاتفاق لم تطلع عليه بريطانيا ورغم ان البريطانيين كانوا يشكون ويتوقعون عملا ما بين الفرنسيين والاسرائيليين فقد فضلوا طمس رؤوسهم في الرمل وفضلوا "ألا يروا" وذلك حتى يبدو وكأن فرنسا واسرائيل هما اللتان تقومان بالعدوان الاساسي على العرب!

نهار الرابع والعشرين من تشرين الاول كان نهارا فرنسيا رائعا.. الشمس تشرق في زرقة صافية .. وبينو يعود الى باريس نشيطا مشرقا مثل نهار بلاده ذلك عاد بينو سعيدا كالطفل بعد أن حصل على موافقة شخصية من أيدن!

التوقيع

مرة أخرى تصبح المائدة الكبيرة في غرفة الطعام الفسيحة في الفيلا البيضاء، مسرحا لخطوة هامة من أكثر المؤتمرات التي عقدت بعد الحرب العالمية الثانية خطورة وسرية!

في الجلسة الاخيرة يلتقي بن غوريون بيرس، ديان، بينو، بورجس مونوري، مانجان، شال، باتريك دين، وموظف آخر من مكتب انطوني أيدن وصل في ساعات الصباح الباكرة الى باريس.

هذه الجلسة مخصصة للقضايا الاساسية: كالوسائل، التواريخ، انزال المظليين، وضرب المطارات المصرية والموقف الذي يجب اتخاذه في هيئة الامم المتحدة في حالة انعقاد جلسة لمجلس الامن للتنديد باسرائيل ..

بالنسبة للنقطة الاخيرة إحتدم النقاش بين البريطانيين والفرنسيين، فالبريطانيون لم يرغبوا في اتخاذ موقف مفضوح الى جانب اسرائيل: وانهى النقاش كريستيان بينو الذي اضاف بخط يده فقرة جديدة الى الاتفاقية، يتكفل فيها بمساعدة فرنسا لاسرائيل في محالات معينة!!

في المساء: كان كل شيء جاهزا، وتم اعداد بروتوكول وقعه - بالاحرف الاولى - باتريك دين، كريستيان بينو وبن غوريون .. وفي الغداة يتم ترقيع الاتفاقية النهائية ويوافق عليها نهائيا.

في ذلك اليوم جرت مشاورات بين الاسرائيليين انفسهم حول الحملة على سيناء.

أراد ديان ان يرسم مسودة خريطة للعملية.. ولم تكن في الغرفة اية ورقة.. فاخرج علبة سجائر من نوع "جيتان" الفرنسي .. مزقها .. وعلى الوجه الابيض من قطعة الكرتون، رسم ديان خريطة السويس ووضع عليها عدة اسهم تمثل اتجاه القوات الغازية..

كانت هذه علبة السجائر الثانية التي تذهب ضحية لحرب سيناء،

ولكنها هي الاخرى اصبحت وثيقة هامة من وثائق الحرب. وضع بيرس وديان توقيعهما على قصاصة الكرتون، وضحك بن غوريون وهو يضع توقيعه عليها.. وما زالت قطعة الكرتون تلك محفوظة في الملفات السرية الخطيرة .. الى يومنا هذا !

* * * * *

في الخامس والعشرين من تشرين الاول، أقلت طائرة ديغول الشيخ بن غوريون ومساعديه.. من فرنسا الى اسرائيل ..

وهنا اخذت حمى الحرب تدب في مراكز الاعصاب .. بيرس .. حول مكتبه الى مركز للاتصال الدائم بفرنسا ..

ديان .. ذهب الى قيادته العامة ليصدر امرا جديدا الى ضباطه .. الامر السابق كان امرا بالاستعداد للهجوم على شمالي سيناء بتاريخ ٥ تشرين الاول .. اما هذا الامر فهو - كما قلنا سابقا - اشد خطورة واكبر مسؤولية! انه الامر بالاستعداد لاحتلال مداخل السويس !!

أما بن غوريون، فبعد الايام العصبية المثيرة.. وبعد الفيلا البيضاء ذات الجو الاسود، فقد ارتفعت درجة حرارته واحس بارهاق قاصم.. فذهب الى فراشه لينام..

وبعد اربعة ايام تستيقظ الحرب التعسة .. حرب السويس !

* * * * *

التاريخ هو ٢٦-١٠ .. عمليات التعبئة العامة في اسرائيل على قدم وساق ..

بن غوريون يفكر في موقف الاتحاد السوفييتي. كيف سيكون؟

.. ولكنه يبتسم بارتياح .. ويقول في نفسه: أن "ثورة" المجر تشغل اليوم كل وقت الاتحاد السوفييتي، وفيها يتركز كل إهتمامه ..

هذه المرة ايضا اخطأ تقدير الشيخ الفيلسوف .. لقد صدق بن غوريون ان في المجر ثورة .. ولم يقتنع .. او أنه لم يرد الاقتناع بانها مجرد هبة رجعية سرعان ما ستزول - لم يفهم أن كل ما حدث هو ان جماعة من المجرمين (حنت) الى الرفاهية المفرطة التي كانت وقفا عليها فاصبحت ملكا للشعب كله .. لم يفهم أن هبة تلك الجماعة المضللة التي غررت بها الدعاية الدولارية اضعف بكثير من أن تلهى الاتحاد السوفييتي عن واجباته الثورية تجاه اية حركة تحررية وطنية في اية بقعة من بقاع الارض، خاصة قي قلعة الثورة العربية .. مصر - (س.أ-).

واستدعى بن غوريون وزراء حزب مباي ليطلعهم على "المشروع" ..

غولده مئير .. لم تفاجأ، لانها كما قلنا في حلقة سابقة، شاهدت مولد المؤامرة من البدء!

زلمان اران .. اصابه قلق شديد!

اشكول .. كل ما فهمه من بن غوريون هو انه يطلب مبلغا من المال لشراء طائرات! (اشكول يومها كان وزيرا للمالية).

سبير - وكان يومها وزيرا للتجارة والصناعة - قال لبن غوريون: سمعت وأنا في سويسره انه تم اكتشاف كميات كبيرة من النفط في صحراء سيناء!

وقال بن غوريون مخاطبا سبير: انت تعارض الحملة على السويس؟

فاجاب سبير: أنا أؤيد توسيع حدود الدولة دون أن يكون ذلك

مرتبطا بعملية او باخرى!

وضحك بن غوريون وهو يرد على سبير:

"انني اشفق على التجار من اجاباتك الضبابية"!

* * * * *

التاريخ ٢٧-١٠-١٩٥٦ .. اليوم سبت ..

سفن فرنسية طليت بدهان جديد واعطيت لها اسماء جديدة تفرغ شحناتها - اسلحة على الغالب - في شاطىء اسرائيل!

وفي المساء .. حط في اسرائيل سرب من الطائرات الثقيلة من طراز "نورد - اطلس" .. وكان السرب محملا بالعتاد والفنيين المنقولين من قبرص ..

سربان من الطائرات المقاتلة والقاذفات من طراز "مستر" وطراز "سيفر" ف -٨٦" يسيطران على مطار اللد..

في مكتبه بالبيت الابيض، ينص ايزنهاور برقية الى بن غوريون .. وعلى بعد امتار منه رئيس قلم الاستخبارات الامريكي المركزي الان دالاس يغطي ابتسامته بشاربيه ..فهذا الرجل يعلم جيدا بكل ما يجري .. يعلم ذلك بنشاط استخباراته وبالمعاملة الحسنة من الاستخبارات الفرنسية .. وهو يعلم ان الجيش الامريكي دائما على استعداد لان يساعد! وهو يعلم ان الطائرات الامريكية تشكل في تلك اللحظات جسرا جويا بين فلوريدا وفرنسا .. وان تلك الطائرات الامريكية تنقل الى الفرنسيين شحنات من قطع الغيار للطائرات من طراز سيفر ..

ولكن الان دالاس - شقيق جون فوستر دالاس - لن يطلع

ايزنهاور على اية تفاصيل .. ولن يقدم له اي تقرير عن الاستعدادات الحربية التي تجري في دول ثالوث العدوان ..

ولماذا يفعل الان دالاس ذلك؟

لماذا لا يطلع ايزنهاور على الحقيقة الرهيبة؟.

السبب هو أن الاستخبارات الامريكية لا تتفق دائما مع حكومتها على المخططات السياسية التي ترسمها..

والان دالاس .. ومن ورائه قلم استخباراته معنى بالعدوان البريطاني - الفرنسى - الاسرائيلى على عبد الناصر، لذلك فهو يصمت .. ولذلك فهو يبتسم؟!

برقيات من أيزنهاور..

ومزيد من الاسرار..

(٥)
برقيات من أيزنهاور

وضح لنا ان قلم الاستخبارات الامريكى كان على علم بما يجرى في اوروبا وما سيجرى في الشرق الاوسط.. أما أيزنهاور فقد كان كما يقول مثلنا الشعبى: "أحمد معهم يا بعدى"، ولما كانت الانتخابات الامريكية على الابواب فمصلحة أيك (أيزنهاور) تقتضى عدم التورط في حرب شرق أوسطية تصبح ذريعة في أيدى خصومه لمهاجمته في الحملة الدعائية العجيبة فى الولايات المتحدة، فيكفى ان تخرج أسراب من الفتيات الى الشوارع وقد كُتبت على افخاذهن الشعارات مثل: "أيك.. لماذا تورطت فى الحرب؟" .. ذلك يكفى كي تغدو شعبية

أيك في خطر!!

أما قلم الاستخبارات الامريكى بقيادة ألن دالاس فقد كانت لديه تقديرات أخرى تجعله يمد يد العون للثلاثى الحربجى، بينما يترك أيزنهاور قلقا.. من تحته تجرى المياه!

ويعلم أيزنهاور بعدد الطائرات المقاتلة الموجودة في اسرائيل، والذى يفوق العدد "الرسمى" الذى يعلم به. ويحس بأن مؤامرة ما تتدبر في الخفاء.. فيجلس الى مكتبه الفخم في البيت الابيض ليخط برقية الى.. اسرائيل.

* * * * *

يوم الاحد ٢٨ تشرين الاول. حكومة اسرائيل وافقت على خطة العملية الحربية. بعد الظهر يطلع بن غوريون جميع الكتل البرلمانية في الكنيست على الخطة .. ما عدا الشيوعيين.

في ساعات المساء حضر رسول مذهول الى الشيخ وفي يده برقية أيزنهاور الاولى والمرسلة بتاريخ ٢٧-١٠ .. في هذه البرقية يطلب ايك من الشيخ ألا يقوم بأية خطوة تعرض السلام الى الخطر.

بتاريخ ٢٩-١٠، وفي الساعة الخامسة صباحا ألقى حراس وزارة الدفاع الاسرائيلية القبض على رجل تبدو عليه الحيرة عند مدخل الوزارة .. ذلك الرجل كان احد مستشارى السفارة الامريكية فى اسرائيل وفي يده رسالة خاصة أخرى من أيزنهاور الى بن غوريون وفي هذه الرسالة ايضا يحذر أيزنهاور من مغبة خوض حرب تهدد السلام في الشرق الاوسط (وتهدد منصبه في الولايات المتحدة).

وجلس يعقوب هرتسوغ ليكتب جواب معلمه الشيخ الى ايزنهاور، وفي ذلك الجواب لم يكن أي وعد من بن غوريون لايزنهاور بألا تقوم اسرائيل بالهجوم على مصر.

وذهب بن غوريون الى بيته في شارع "كيرن كييمت" بتل ابيب. وفي الساعة الخامسة بعد الظهر انضم اليه موشيه ديان : وفي تلك الاثناء كانت طائرات الداكوتا والنورد الثقيلة تقذف بالمظليين الاسرائيليين في ممر "المتلة" الذى لا يبعد اكثر من حوالى عشر كيلو مترات عن قناة السويس.

أجهزة التلبرنتر في جميع انحاء العالم تبصق الخبر المثير، "اسرائيل تهاجم مصر ".

موشيه شاريت يشترى جريدة في نيودلهى - وهو في طريقه لمقابلة نهرو - فيصدمه الخبر ويهز اعصابه.

سفير اسرائيل في فرنسا يعقوب صور يعلم أخيرا بالسر الخطير.

حرب السويس .. بدأت!

اسرائيل تبحث عن حلفاء

(ما يجرى اليوم فى منطقتنا يذكرنا بالاحداث التى شدت اعصاب العالم والمنطقة آنذاك .. والريح الكريهة التي هبت في حينه من اوروبا الغربية وجرفت اسرائيل فى مغامرة فاشلة ضد الثورة العربية فى مصر..تلك الريح الكريهة تهب من جديد .. تهب هذه المرة من واشنطن وتحاول ان تجرف اسرائيل .. نحو عدوان جديد.

العين الحاقدة التى تحدق اليوم فى العرب .. حدقت من قبل فى

سنة ١٩٥٧ في عهد غير المأسوف عليه جون فوستر دالاس ..
في ذلك العام كثرت رسائل الغرام بين دالاس و"ممثله" فى الشرق الاوسط بن غوريون ..

محتوى تلك الرسائل كان يتركز في الاغلب حول سوريا. شحنات الاسلحة السوفييتية التى افرغت في ميناء اللاذقية وصل خبرها الى بن غوريون فخف يكتب الى اسياده في واشنطن يحذرهم من خطر "تسرب" الشيوعية الى الشرق الاوسط ويحضهم للدفاع عن الامم "الحرة" في المنطقة بصفتهم قادة للعالم "الحر" ..

غاية بن غوريون تبرر واسطته .. وغايته التى لا تخفى على احد، هي ضرب كل حركة تحررية في الشرق العربى والمحافظة على كل نظام رجعي، وهو في سبيل ذلك مستعد لمحالفة الشيطان .. لانه اعجز بكثير من ان يقوم بالمهمة وحده.

وانطلق مراسيل الشيخ المتآمر الى الدول الرجعية ذات الانظمة المتعفنة في المنطقة .. الى ايران وتركيا والحبشة .. وفي سرية تامة التقى مراسيل الشيخ "بزعماء" تلك الدول، شركائه فى العمالة للدول الاستعمارية الرأسمالية .. وفيما بعد وصلته الردود "الايجابية" من شركائه في خدمة الشيطان.. انهم يقفون الى جانبه فالذي يجمع بينهم كثير .. وفي مقدمته العداء الاسود المرضى لمد الوعى العربى المتدفق دوما الى امام رغم المؤامرات والعقبات التى تحمل هوية اسرائيلية - ايرانية - تركية - حبشية .. حظيت بتوقيع العم سام وتشجيعه).

محاولة التذليل لحلف شمالي الاطلسي

أخذ بن غوريون على عاتقه مهمة الظهور امام الامريكان بمظهر "البطل" الذى جاء "لينقذ" الشرق الاوسط من الشيوعية. وحذر اسياده في واشنطن من الخطر الذى تنطوى عليه التطورات في سوريا. اراد اقناعهم بأنه امريكى اكثر منهم لتحقيق حلم بعيد المدى .. كانت تراود بن غوريون الرغبة في ان يربط اسرائيل بمخططات الدفاع الاوروبية، خاصة بحلف شمالي الاطلسي.

باشر الشيخ في العمل من اجل تحقيق هدفه. في شهر ايلول بعث مستشاره يعقوب هرتسوغ فى مهمة خاصة الى واشنطن.

وفي شهر تشرين الاول التقت غولده مئير بدالاس في العاصمة الامريكية. وكانت تحمل تعليمات واضحة من بن غوريون حول المواضيع التى يجب دراستها مع زميلها الامريكى.

مقترحات بن غوريون كانت على الوجه التالى:

١- ان ترسل أمريكا انذارا الى الاتحاد السوفييتى لوقف تغلغله في الشرق الاوسط.

٢- التنسيق في السياسة تجاه الشرق الاوسط بين امريكا وحلف شمالي الاطلسى من جهة واسرائيل من جهة اخرى.

٣- ان تقدم امريكا لاسرائيل مساعدات لتطوير الموانىء والمطارات حتى تصبح "قاعدة" صالحة في ساعات الطوارىء.

٤- ان تكف امريكا عن سياسة التقنين في الاسلحة وان تزود الجيش الاسرائيلى بها حسب طلبه.

٥- ضمان المساعدة الامريكية لاسرائيل في حالة وقوع هجوم

عليها من مصر او سوريا.

سمع الامريكان بأدب جم مقترحات بن غوريون من بين شفتى غولده مئير. لكنهم لم يصدروا في الحال قرارا بشأن تلك المقترحات.

وطارت رسالة اخرى من بن غوريون الى واشنطن قال فيها لارباب نعمته: "لقد آن الاوان ان يصبح الدفاع عن اسرائيل مندمجا بالدفاع عن العالم "الحر" كله .. فأمن أوروبا "الحرة" سيظل ناقصا ما لم يضمن الدفاع عن الدول "الدمقراطية" فى الشرق الاوسط (جمع الاقواس من المعلق)!

لم يكتف بن غوريون بتوجيه الرسائل، فأطلق مساعديه ومستشاريه الى دول اوروبية من فرنسا الى المانيا الغربية الى هولنده .. وحاول مساعدوه اقناع المسؤولين الغربيين بوجهة نظر بن غوريون ولكن عقبات معينة حالت دون ذلك بصورة مباشرة لان للاستعمار حساباته الخاصة واعتباراته الخاصة وقد يورطه "تبنيه" المكشوف لاسرائيل فى مشاكل أخرى مع العالم العربى هو فى غنى عنها .. في ذلك الحين ..

نشاط بن غوريون لم يقتصر على "الجبهة" الاوروبية ..

فكان رجاله ينطلقون بشكل سرى الى مناطق اخرى من العالم .. يحملون احلام بن غوريون ويعرضونها على قادة من صنف آخر ..

الى اين ذهب هؤلاء الرسل؟

وماذا حملوا معهم عند عودتهم الى اسرائيل؟

(٦)
وانطلق المراسيل

(اذن، فمحاولة بن غوريون ضم اسرائيل رسميا الى حلف شمالي الاطلسي لم تكن موفقة كل التوفيق .. ورغم كسبها تأييد الفرنسيين فقد اصطدمت ببرود البريطانيين وتقديراتهم الانانية جدا ..

هذه النتيجة لا يمكن ان تثني عزيمة رجل من ماركة بن غوريون .. واذا سدوا في وجهه الباب فليدخل من النافذة .. وجمع الشيخ العنيد مستشاريه واعوانه من قادة اسرائيل ليدرس معهم خطط المستقبل على ضوء التقارير النهائية الواردة من اوروبا ..

ورسمت الخطة ..

الان يجري العمل على جبهتين .. الاولى اوروبية، وفي المانيا الغربية بالذات.

الثانية في بلدان الشرق الاوسط المعادية لحركة التحرر العربية).

خلال أيام معدودة حدثت تطورات مثيرة في الشرق الاوسط .. في كانون الثاني من سنة ١٩٥٨ تمت الوحدة بين مصر وسورية بمبادرة الزعماء السوريين الذين (وضعوا عبد الناصر في موقف حرج) فلم يجد بدا من اعلان الجمهورية العربية المتحدة.

هذه الوحدة اخافت حكام العراق والاردن من الحركة الناصرية فاعلنوا عن توحيد القطرين في "الاتحاد العربي"..

هذه التطورات اقلقت الدول غير العربية الموجودة في المنطقة مثل تركيا وايران والحبشة وعجلت في ميلاد حلف معنوي بينها

وبين اسرائيل.

تركيا أصابها الذعر من نشوء قوة عربية تكون معادية لها من الجنوب بالاضافة الى عداء الاتحاد السوفييتي من الشمال .. وايران كانت في خلاف شديد مع العراق حول اراضي الحدود وكانت خائفة من انتشار الناصرية جنوبا وتهديد النظام القائم فيها .. وسكان هذه الدول مجتمعة مع اسرائيل يزيد عددهم عن عدد العرب في الشرق الاوسط فلماذا لا يقوم بينها حلف وثيق؟

وبوشر في التنفيذ .. علاقات صداقة متينة قامت بين اسرائيل وملك الملوك هيلاسيلاسي!

علاقات صداقة وحسن نية قامت بين اسرائيل والشاهنشاه الفارسي ..

أما تركيا فقد ظلت حتى ذلك الوقت تظهر شيئا من التحفظ تجاه اسرائيل! بسرية تامة وعلى طائرات وسفن (اقترضتها) اسرائيل خصيصا، وتحت جنح الظلام انطلق مراسيل بن غوريون الى جهات الشرق الاوسط المختلفة..

البعثة التي التقت بالقيصر الحبشي وصلت الى اتفاق متين بين اسرائيل والحبشة في الشؤون السياسية والاقتصادية والعلمية وتم حلف سري مع الحبشة..

البعثة التي انطلقت الى ايران والتقت بالشاه الفارسي لاقت نجاحا باهرا في الاخرى..

أما تركيا فقد ترك أمرها الى الياهو ساسون الخبير بالشؤون العربية .. والتقى ساسون بوزير خارجية تركيا زوغلو .. وبعد أن

عرض عليه الفكرة اقترح زوغلو عقد اجتماع على مستوى اعلى بين مسؤولين كبار في الحكومتين..

في هذه المرحلة قرر الشيخ بن غوريون القيام بخطوة في اتجاه آخر، وذلك لجس النبض في الدول الكبرى حول (الحلف العتيد).

في اوائل ايار من سنة ١٩٥٨ اجتمع الجنرال موشه ديان بالفيلدمارشال البريطاني المتقاعد مونتغومري .. فشرح له الفكرة .. وتحمس المحارب البريطاني العجوز ووعد بعرض الفكرة على الجنرال ايزنهاور اثناء زيارته له في واشنطن.

شيء آخر ساعد اسرائيل في تلك الفترة وهو الوضع في العالم العربي، ففي الرابع عشر من تموز تفجرت في العراق ثورة الجنرال عبد الكريم قاسم ..

الملك فيصل في بيجامه يستعد للموت .. ونوري السعيد هرب في زي إمرأة ولكن الجماهير اكتشفته من جرابه الرجالي فقبضت عليه وقطعته إربا في شوارع بغداد ..

في لبنان حرب أهلية ..

وفي الاردن .. القوى الوطنية تغلي ضد النظام الملكي .. حسين حبيس في قصره ورجال المظلات الانجليز يصوبون الرشاشات من فوق السطوح لحماية الملك.

واستغل بن غوريون الوضع فكتب رسالتين طويلتين جدا الى كل من ديغول وايزنهاور يشرح لهما موقفه وفكرة الحلف الذي ينوي اقامته!

الولايات المتحدة قالت : نـعــم!

في رسالته الى الرئيسين الامريكي والفرنسي، كتب بن غوريون:

(في هذا الحلف تشترك دولتان مسلمتان غير عربيتين (تركيا وايران) ودولة مسيحية واحدة (الحبشة) واسرائيل).

(لقد بذلنا حتى الان مجهودات لاقت النجاح، واذا رأت حكومتك هذه التجربة بعين الرضى فانها تستطيع ان تقدم لنا مساعدة فعالة وان تصبح عنصرا (هاما) في الحلف).

ثم يتكلم بن غوريون عن الدول التي يقترح اقامة الحلف معها فيؤكد للدولتين الاستعماريتين بأن اسرائيل تتطوع لتكون قناعا للتدخل الاجنبي في تلك الدول فيقول :

(في جميع تلك الدول هناك خوف - معلن او غير معلن - من تسلط الدول الاجنبية عليها، هذا الخوف غير موجود عند تلك الدول بالنسبة الينا، حكومات تلك الدول تعاملنا بثقة تامة).

وقد جاء رد الامريكان "ايجابيا" للغاية وابدى كل من ايزنهاور ودلاس وزير خارجيته تأييدهما وباركا الفكرة بملء صوتيهما.

تركيا توثقت علاقاتها باسرائيل حتى سنة ١٩٦٠.

وعند نشوب الانقلاب العسكري فقد طرأ تحول على سياسة تركيا تجاه اسرائيل.

اما ايران والحبشة واسرائيل فقد ازدادت العلاقات بينها قوة وتحولت الى دول متحالفة ولكن بدون احتفالات رسمية وبدون تواقيع ومظاهر فخفخة؟

خلاصة القول

من خلال الجو البوليسي الذي عشناه طيلة احداث "الطريق الى السويس" وبعد المغامرة الفاشلة تطالعنا، من جديد الحقيقة الدامغة، وهي ان قادة اسرائيل مارسوا دائما وما زالوا يمارسون سياسة اللعب بالنار .. سياسة المشاركة مع الاستعمار وخدمة مشاريعه .. وفي الحلقة السابقة رأينا بن غوريون يقوم بعملية اغراء مثيرة لتحويل اسرائيل الى "قاعدة صالحة في ساعات الطوارىء" لخدمة الامبرياليين ودهاقنة الاحتكارات ضد حركة التحرر العربي وضد جميع شعوب المنطقة.

في قصة الاندغام في الاستعمار وشن العدوان الثلاثي الفاشل على مصر، في هذه القصة كثير من "المتعة" وكثير من الاثارة! ولكننا لم نحمل انفسنا مشقة نشر غسيل الحكام القذر لمجرد التدليل على تاريخهم المغامر الحافل بالشر .. لكن لنحذر من احداث مماثلة قد تقع في كل لحظة ..

فالسياسة الجيمس بوندية ما زالت هي المحببة لذوي الرؤوس الحامية في اسرائيل .. والتطورات الطبيعية لهذه السياسة حبلى بالمخاطر.

التطورات الاخيرة في شرقنا تدل على ان الاخطبوط الاسود .. اخطبوط الفيلات البيضاء والطائرات المخبأة في كراجات المطارات العسكرية، ما زال يحرك اذرعته في شتى الاتجاهات .. وواجب القوى الدمقراطية الحقيقية والتقدمية .. واجبها الملح هو ان "ترفع البوق الى فمها وان تكون كالنسر على بيت الرب".. ورحم الله اشعياء فقد فهم كثيراً، ولم يفتقر صوته لنبرة الحق والحقيقة!